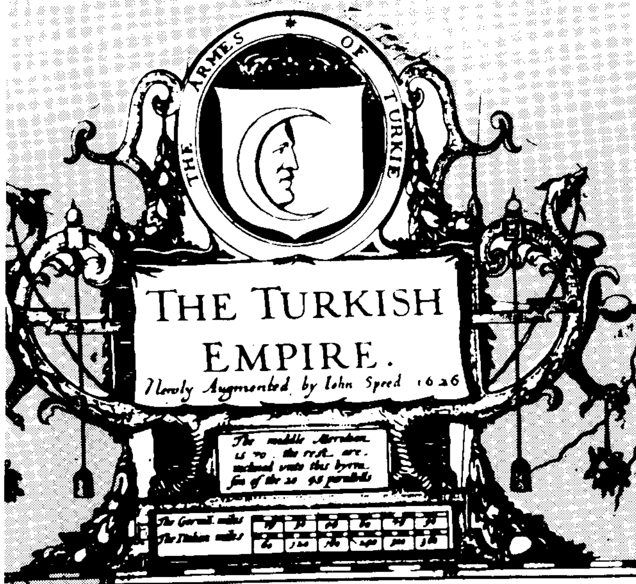




رسالة الدولة العثمانية في الخليج العربي في القرن التاسع عشر

بقلم الدكتور
محمد مقصود اوغلو (تركيا)



ان رسالة الدولة العثمانية في الخليج العربي لا تختلف عن رسالتها في البلاد الاخرى التي كانت تخضع لسيطرتها . وهي « اعلاء كلمة الله » وتوحيد كلمة المسلمين وجمع المسلمين في العالم تحت راية السنة النبوية[١] وكانت الدولة العثمانية تمثل تمثيلا رسميا وفعليا الخلافة السنية منذ ان انتقلت الخلافة الى العثمانيين عام ١٥١٦ بعد



معركة مرج دابق .

وكانت انكلترا تسيطر على السواحل الشرقية (السواحل الايرانية) المطلة على الخليج في القرن التاسع عشر كما كانت الهند تحت الاحتلال البريطاني اذ ذاك والسواحل الغربية من الخليج كانت ضمن الاراضي العثمانية بما فيها سواحل نجد[٢] .

ومن جهة اخرى كانت فرنسا ايضا تحاول هي الاخرى ان تضع قدمها على السواحل الغربية من الخليج ،كل منهما في نطاق سياستها التوسعية في المنطقة ، ان مساعد قائمقام القطر التابعة آنذاك لولاية البصرة العثمانية اقترح على الحكومة العثمانية « ارسال سفينة حربية . عثمانية للتجول على تلك الشواطىء لمواجهة نوايا دولة فرنسا في المنطقة[٣] .

وكانت بريطانيا تؤيد فرنسا في هذه الامور . فقد احتلت فرنسا اراضي الشيخ سعيد في اليمن مثلا بتشجيع من بريطانيا في ١٣٢١هـ/١٩٠٣م .

وكانت الدولة العثمانية تراقب انشطة انكلترا في المنطقة عن كثب . كانت الدولة العثمانية على علم حينما يدخل القنصل الانجليزي في البحرين سنة ١٣١١هـ/١٨٩٤م انه اخذ خريطة البحرين[٤] . كما كانت الدولة العثمانية حساسة كل الحساسية تجاه نيات انكلترا في المنطقة وكانت تتخذ التدابير اللازمة لعدم اعطاء اية فرصة لها في التدخل في شؤون المنطقة .

نشاهد هذه الحساسية مثلا في موقفها من صيد اللؤلؤ والصدف في السواحل العثمانية الواقعة في الخليج اذ ذاك . تجتنب الدولة العثمانية ان تضع هذا الصيد تحت الحصر او اعطاء اية رخصة لاى شخص او مؤسسة تجنبا لاي اثارة ضوضاء في المنطقة في عام ١٣٠٩هـ/١٨٩٢م[٥] . لأن انجلترا كانت تجول بسفائنها الحربية على سواحل نجد وعمان ومسقط اذ ذاك وكانت تجري مباحثات مع المشايخ في المنطقة[٦] فكانت لا شك تحرضهم ضد الدولة العثمانية حتى تثار المشاكل وتكون لها فرصة للتدخل في شؤون المنطقة ونشاهد هذه الحساسية في اعطاء الدولة العثمانية رخصة لدفن اموات الانجليز البروتستانت في مقبرة خاصة بهم في البصرة على الصعيد الانساني ولكنها تضع الشروط على هذا الامر :

١ ـ لن تتجاوز الحدود المعينة للمقبرة الخطوط المرسومة لها باي حال

من الاحوال .
٢ ـ لن يبنى اي بناء في المقبرة بالقرب منها من أى نوع كان .
٣ ـ ستوضع وتركز علامات على حدود المقبرة المعينة منعا في المستقبل من اتساع الساحة وتجاوز الحدود جمادى الاولى ١٣١١هـ/١٨٩٣م[٧] .

وكانت الدولة العثمانية تحاول ان تجمع شمل المسلمين في المنطقة ، وكانت تحاول جذب الشيخ مبارك الصباح ومنعه من الاستجابة للاغراءات الاجنبية ومنع تهريب الاسلحة والمؤن من الكويت الى نجد والعراق في ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م كما كانت تتخذ التدابير اللازمة بحق جميع الموظفين الموجودين الذين تصدر منهم اعمال سيئة في ولاية البصرة[٨] .

وكانت الدولة العثمانية تكافىء الخدمات الحسنة الصادرة من اتباع الشيخ مبارك الصباح مثل عبدالعزيز سالم البدر باعطائه رتبة استابل عامرة في ١٣٢٩هـ/١٩١١[٩] وكان الشيخ مبارك الصباح يعلن بمناسبة الحرب سنة ١٣٢٩هـ/١٩١١م « انه تابع مع جميع اتباعه للدولة العثمانية[١٠] . لأن الدولة العثمانية كانت تمثل الاسلام تجاه العالم اجمع . وكان رئيس الدولة العثمانية السلطان هو خليفة اهل السنة . ونشاهد هذا الامر بوضوح في الوثيقة المحررة من قبل مشايخ سوق الشيوخ والتي حررت في ٢٠ رجب ١٣٢٤هـ/٢٩ ايلول ١٩٠٦م بعد حالة العصيان والتمرد الذي دام مدة سنتين في سوق الشيوخ . انهم يصفون موقفهم من الخليفة وعصيانهم للدولة العثمانية « كفرا » ويخاطبون السلطان العثماني « امير المؤمنين حضرت مولانا وملاذنا السلطان المعظم كان الصراع في المنطقة بين الدولة العثمانية الممثلة للاسلام وبين الدول الكبرى وعلى رأسها انكلترا ، ولا شك ان الدولة العثمانية لم تكن دولة عنصرية قط . كانت تستخدم الاشخاص ذوى الكفاءة في المناصب المهمة بصرف النظر عن ديانتهم وقوميتهم . نذكر هنا على سبيل المثال ، سفير الدولة العثمانية في لندن كان روميا اسمه قوستاكي اندروبولو باشا ، وخصصت الدولة العثمانية لزوجته راتبا كافيا بناء على خدمات المتوفى سنة ١٣٢١هـ/١٩٠٣م[١١] .

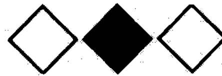
ومن جهة اخرى كان اهتمام الدولة العثمانية بالشرفاء والسادات والصالحين بالغا جدا . نذكر هنا كمثال على هذا ان الدولة عينت الشريف حسين امير مكة المكرمة عضوا في « شوراي دولت » (المجلس الاستشاري للدولة) سنة ١٣١٠هـ/١٨٩٢م وخصصت له راتبا وقدره ٥٠٠٠ قرش[١٢]

واستأجرت له بيتا على ساحل البوسفور في اميركان باستانبول[١٣] كما قامت الدولة العثمانية بانشاء بيت جديد لعبدالواحد افندي من وجهاء مكة المكرمة حينما احترق بيته سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م[١٤].

وتستثنى الدولة العثمانية المشايخ في زاوية الشيخ عبدالقادر الجيلاني بطنا بعد بطن، من الخدمة العسكرية[١٥]. وتخصص الدولة راتبا لمحمد سعيد افندي الخضراوي من ادباء مكة المكرمة وشعرائها حينما زار الاديب استانبول سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م[١٦]. ولا ينحصر اهتمام الدولة العثمانية بالادباء والشعراء المسلمين بل يمتد الى مواطنيها النصارى ايضا. فتكافىء الدولة العثمانية بطرس البستاني افندي على تأليفه قاموسا باعطائه نيشانا مجيديا من الرتبة الثالثة ومنحه «عطية سنية» في عام ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م[١٧]. ومن المعلوم ان بطرس البستاني لم يؤلف قاموسا يخدم به الثقافة التركية بل الف قاموسا يخدم الثقافة العربية وهو مسيحي. تكافىء الدولة العثمانية هذا المؤلف اذ انه يخدم اللغة القرآنية والدولة تدرس في مدارسها اللغة العربية لا التركية. والثقافة لها أهمية كبرى، الثقافة تعدل كل شيء تقريبا في تكوين الفرد والمجتمع، كما يظهر في ايامنا ونحن نعاني جميعا من الغزو الفكري، واللغة ظرف الثقافة والثقافة امتن الطرق واخطرها واكثرها تأثيرا في الاستعمار.

تشجع الدولة العثمانية نشر اللغة العربية الفصحى اذ انها لغة القرآن الكريم وتفكر في اتخاذ التدابير اللازمة لصيانة الاطفال المسلمين في البلاد العربية من الغزو الفكري. نشاهد هذا الامر بوضوح في ان الدولة تحاول منع الاطفال المسلمين في سوريا وبيروت من مزاولة الدراسة في المدارس الامريكية والفرنسية هناك وتحاول تدشين مدارس اسلامية لمنافسة تلك المدارس سنة ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م[١٨]. ومن ناحية اخرى تهتم الدولة العثمانية اشد الاهتمام بتربية وتدريس الاطفال المسلمين البارزين. كانت الدولة العثمانية تدرس اطفال الوجهاء على عهد السلطان عبدالحميد الثاني في مدرسة خاصة بهم واسمها «عشيرة مكتبي» (المدرسة الخاصة باطفال وجهاء العشائر) باستانبول[١٩].

وانتهت رسالة الدولة العثمانية في الخليج وفي العالم بانقراض هذه الدولة.



الهوامش

١ ـ كان العثمانيون يسمون انفسهم « دولة علية عثمانية » (الدولة العثمانية العلية) ولم يستعملوا بحق دولتهم صفة الامبراطورية ومن الواضح ان تسمية اي مجتمع سياسي بغير اسمه يتضمن العداوة تجاهه . اما تسمية بعض الاتراك المعاصرين العثمانيين بـ « الامبراطورية » فهي غفله وعمل ببغائي . بأخف التعبير .

٢ ـ تخبر السفارة البريطانية الحكومة العثمانية بأن تجولات السفائن الحربية البريطانية على سواحل نجد كانت لحفظ الزوارق المستعملة لصيد اللؤلؤ هناك من تعرضات القراصنة (١١ رمضان ١٣٢٣) وثيقة رقم 203017

٣ ـ Basbakanlik Arsivi,Basra Gelen defteri, 263 13/211

٤ ـ Basbakanlik Arsivi, Yildiz, Sadaret Remsi Maruzat, 124/79

٥ ـ Basb.Ars.Basra Gelen Defteri, 263, 5/6

٦ ـ Basra Gelen Defteri,263 12/209

٧ ـ Basra Gelen Defteri, 263 16/209

٨ ـ Basra Gelen Defteri, 263 17/250

٩ ـ Basb. Ars. BED, 199723

١٠ ـ Basb. Ars. Taltifat, 1325, 144

١١ ـ Basb. Ars. BED Defter 232, 2152/4207

١٢ ـ Basb. Ars. Trade–Dahiliyye 1324,7

١٣ ـ Yildiz, Sadaret Resmi Maruzat, 186 12 120/30

١٤ ـ Trade–Dahiliyye 1310, 1310,44

١٥ ـ Trade–Dahiliyye 1310, 40

١٦ ـ Trade – Husu si 1310, 40

١٧ ـ BED 233, 40

١٨ ـ Trade–Hususi 1310 75

١٩ ـ BED 229 s.3